(2)

«الدين عنصر موضوعى من عناصر البناء الاجتماعى ..»

كثرت حملات بعض رجال الدين وبعض قوى اليمين على الناصرية والناصريين ، باعتبار الناصرية ضد الدين أو أن الناصرية أحد القوى المضادة للدين مثلهم مثل الشيوعيين؟

إن المبادئ التى قامت عليها الناصرية تسعى إلى أن يعيش الناس روح الدين لا مجرد مظاهره ، وأن يكون هناك تطابق دائم بين القول والفعل فى الحياة الدينية وفى الحياة العامة. وأن يكون المجتمع فى تقدمه وتطوره صورة كريمة لما أراده الله من خير للناس . وعلى هذا نص الميثاق «لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين. وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم. إن جوهر الأديان يؤكد حق الإنسان فى الحياة والحرية . بل إن أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرص متكافئة لكل إنسان».

ومن هنا جاء الارتباط القوى فى الناصرية بين الدين والحياة ، فالدين لا يرضى بطبقة تورث الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس ، وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم . لذلك كان من الضرورى إزالة العقبات والقيود والأغلال التى تحول دون

انطلاقة الأمة إلى مستقبلها. فكان من الضرورى إعادة توزيع الأرض الزراعية وقيام قطاع عام يمثل مركز الثقل الاقتصادى فى المجتمع والقضاء على الإقطاع فى قطاع الخدمات حيث كان العلم والصحة وغيرها سلعا لا يستطيع شراؤها إلا القادر. بل إن العدل نفسه كان سلعة تشترى، وكان الحصول عليه يحتاج إلى أتعاب ينوء بها كاهل الفقير.

إن إزالة هذه العقبات كانت حتمية وطنية وقومية، إلا أنها فى نفس الوقت واجب دينى، تستطيع أن تقرأه فى قول الله تعالى محددا مهمة الرسول «يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر» و يحل لهم الطيبات، و يحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم» (الأعراف- 157). لقد بشر النبى محمد صلى الله عليه وسلم- بالدين الاسلامى وسط بيئة جاهلية لا تعير للمبادئ أى اهتمام، فجاء هذا الدين ليلغى حكم الطبقة وينشر الخير والمحبة والمساواة فى صفوف المجتمع. ناهيا عن الفحشاء والمنكر والاستغلال، داعيا إلى التعاون والمشاركة بين أبناء المجتمع فى سبيل الخير والحق والعدل.

وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن رسول الله أنه قال «الناس شركات فى ثلاث: «الماء والكلأ والنار» وفى حديث آخر «والملح». ويلاحظ أن هذه الأشياء ضرورية لحياة الناس. وليس

النص على هذه الأشياء على سبيل الحصر بل أن قواعد الشريعة تقضى بتأميم «ملك الأمة» كل ما كان مثل هذه المواد ضروريا للمجتمع . كما يكره الإسلام تركيز الثروات فى أيد قليلة فى المجتمع . لما يؤدى إليه ذلك من ترف وإفساد واستغلال . يقول الله تعالى فى كتابه الكريم «كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» (الحشر- 7) وكما فى قوله تعالى «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا» (الإسراء- 16) ويقول المسيح عليه السلام فى بعض وصاياه ومواعظه : «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد و يحب الآخر، أو يلازم الواحد و يحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (متى -6 24) وقد اعتبرت الناصرية حق العمل مبدأ أساسيا من مبادئها تطبيقا لما جاء فى قوله تعالى «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» (التوبة- 105) . كما ربطت الأجر بالإنتاج تمشيا مع المبدأ الاشتراكى المعروف «من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله» فهل هذا يتعارض مع قوله تبارك وتعالى «لكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون» (الأحقاف- 19) وكما يقول «وما تجزون إلا ما كنتم تعملون» (الصافات- 39) وإذا كان من مبادئ الثورة «إقامة العدالة الاجتماعية» وذلك للقضاء على الاستغلال والاستبداد فى جميع صوره، وإتاحة الفرصة لكل مواطن فى نصيب عادل من الدخل القومى مع

العمل على تحريره من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته وحياة أسرته. فقد كانت «التأمينات الاجتماعية» من أهم الوسائل لتحقيق هذه الأهداف جميعا ، فضلا عن الحفاظ على كرامة الفرد وتأكيد حقه فى الحياة الحرة ، وتحقيق كل عناصر الاستقرار والاطمئنان له ولأسرته. وأصبح نظام معاشات العمل يظل جميع العاملين فى حالات الشيخوخة والعجز والوفاة واصابات العمل كما صدرت قوانين التأمين الصحى وتأمين البطالة وغيرها .

كل ذلك كان تطبيقا لمبدأ التكافل الاجتماعى فى الإسلام. حيث يكون المجتمع مسئولا عن أبنائه غير القادرين على العمل لأسباب مختلفة ، وليس لما يفسره البعض من تصدق الأغنياء على الفقراء بما يتنافى مع قوله تبارك وتعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» (البقرة 143) ومعنى «وسطا» هنا «عدلا»(1) ويفسر البعض «أمة وسطا» أى أمة ليس بها أغنياء أو فقراء.

لقد كان الأنبياء ينشدون مجتمعا لا طبقيا ، تسوده العدالة ويعمه الرخاء وإنا لنجد فى تعاليمهم الأصول الفكرية لاشتراكيتنا المعاصرة. ومن هذا الأساس العريض تنطلق رسالة الدين عبر العصور .. الرسالة التى حملها الأنبياء والمرسلون

جميعـا . والتى جاءوا بجوهرهـا والتى أمرنا ربنا أن نؤمن بها وبهم جميعا فى قوله تعالى «قولوا آمنا بالله ، وما أنزل علينا، وما أنزل إلى ابراهيـم واسماعيل واسـحق ويعقوب والأسـباط ، وما أوتى موسـى وعيسـى ، وما أوتى النبيـون من ربهم. لا نفـرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون" (البقرة ـ 136).

إن مبـادئ الناصرية تمثل عمقا تاريخيـا يربط بين حياتنا فـى تتابعها ويبرز شـأن الديـن فى نضالنا الوطنـى ، متفاعلا مع المواريـث الحضارية عامـة والعربية خاصـة ـ دون انغلاق عليها . وإنمـا أثرتها بالتفاعل الدائم مـع الحضارات العالمية دون أن تفقد شخصيتها .

وإذا كان اهتمـام الناصريـة بالقضايـا العالميـة . قضايـا الاسـتعمار والتفرقـة العنصريـة والتخلـف الاجتماعـى والاقتصـادى.. إذا كان لهـذا الاهتمـام جوانبـه الإنسـانية والحضارية الشـاملة، ففيهـا أيضا يلتقى جوهـر الدين بحقائق الحياة. ويـعمل كلاهما من أجل كرامة الإنسان حيث يكون.

إن الناصرية تعتبر الدين عنصرا موضوعيا من عناصر البناء الاجتماعـى . ووظيفة أبدية للروح الإنسـانية، كما أنه يملك تعبـيرا أدراكيا وميدانا من ميادين المعرفـة . كما أنها تعطى أهميـة لمغزى تطور التاريخ وحتميتـه. إلا أن هذا المغزى لا يذوب فـى خضم التاريخ نفسـه. بل يوجد من القيـم والأنماط ما يعلو

علـى مجريات التاريخ . وان الحكم على هذه المدريات يجب أن يكـون على ضوء هذه القيم. والمقصود بذلك هو القيم الروحية والخلقية. وهذا ما يميز الناصرية عن غيرها من النظريات المادية التى تعطى أهمية فقط لتطور التاريخ وحتميته. فإذا كان هذا هـو فهـم الناصرية للديـن وارتباطه بالحيـاة . وإذا كان من أهم أهدافهـا تحرير الإنسـان من الظلـم وإلغاء الاسـتغلال عنه . فهل يمكن أن تكون متعارضة مع تعاليم اللّه ورسالاته السماوية ؟

يقـول الميثـاق فى هـذا الصدد : «إن الرسـالات السـماوية لا تتصادم فـى جوهرها مع حقائق الحيـاة . ولكن الرجعية تخلق للدين تفسيرات تتعارض مع حكمته الإلهية السامية».

أمـا إذا كان بعـض رجـال الديـن وبعض قـوى اليمين تتهم الناصرية بأنها ضد الدين . فان ذلك يرجع إما إلى جهلهم بحقيقة رسـالة الأديان ، التى هى ليست مجرد طقوس وتكاليف تؤدى ، بقـدر ما هى قيم ومبادئ تتصل بضمير الإنسـان وبقلبه ، ومدى علاقته بربه والمجتمع الذى نعيش فيه . وإما أنهم يتلقون وحيهم من بعـض القوى القابعة فـى قصور الرجعية ، والتـى يزعجها ما تحمله الناصرية من مبادئ تقدميه وتحررية . إن عاجلا أو آجلا سـتقوض هذه القصور على رؤوس أصحابها ليسـتطيع الشـعب العربى أن يشق طريقه فى سبيل الحرية والعزة والكرامة .

إن أولئـك وهـؤلاء ينطبق عليهم قول اللّه تعالى «لا تلبسـوا الحـق بالباطل وتكتموا الحـق وأنتم تعلمـون» (البقرة 40) .